القسم الرابع

الحركة الشيعية الشعبية

Popular Shi-ᶜism

لقد بينا في الفصل السابق الأصول الاجتماعية التي كانت للحركة الشيعية في أود، ووضحنا سبب الوجود الشيعي لدعم الحكم النيشابوري في أود والاستفادة من هذا الحكم. لكن لم يُشرح كيفية نمو المجتمع الشيعي، وفي عهد المغول وخاصة تحت حكم أورانجزيب Awrangzip لم يكن لدى الشيعة طقوس عامة خاصة بهم تكوِّن قالباً لتكوينهم الاجتماعي.

إن الهوية الدينية والشبكات الاجتماعية داخل المجتمع الديني الخالص يمكن أن تنمو فقط بواسطة مجموعة من الطقوس العامة الشعبية، وهكذا فإن مثل هذه الطقوس العامة قد نمت وتطورت في أود برعاية النواب ورجال بلاطهم الشيعة الأشراف[١].

وقد ابتكر الشيعة في أود مجموعة من التمارين أو الممارسات والطقوس الدينية المميزة، وقد دخل في هذه الفترة كثير من المؤمنين الجدد بالأئمة وساهموا في هذا المجال، على أن طقوسهم تغيرت بمرور الزمن، وتطورت المزارات، وكان المؤمنون يمارسون عقيدتهم بطرقهم الخاصة، وقد اشترك كثير من السنيين والهندوس في شعائر الحداد على الإمام الشهيد الحسين. وكانت كثير من الممارسات الشعبية الشيعية كنتيجة للنشاط الثقافي والابداعي للحرفيين والعمال وأصحاب الحوانيت وأتباع علي أنفسهم، وكما يقول تورنر فإن الدين الشعبي يتضمن تخصصاً في الخدمات الدينية لمختلف الأسواق[٢].

وكان للطقوس الشعبية الشيعية في أوائل القرن التاسع عشر في أود تأثيرين مختلفين، فمن ناحية كان الاشتراك المدني الواسع في شعائر محرم عاملاً مساعداً في إتمام العدد الكبير والنامي للسكان في المدن من خلال تمركز الشعائر الدينية وأصبح نموذج الولي بالنسبة لمدينة لكنو هو الإمام الحسين، ومن ناحية أخرى فإن الطابع التقسيمي لبعض الممارسات الشيعية، خاصة بالنسبة للعن الخلفاء الذين يوقرهم السنة، ومنع الاحتفالات التي يقوم بها الهندوس خلال شهر محرم، كل هذا شجع على نمو الطائفية الاجتماعية.

---

(١) إن مفهومي للمجتمع النامي الذي يقود إلى الطائفية الاجتماعية يأتي من كتاب تأليف: ساندريا فرايتاج، «الطقوس الدينية والمشاغبات»: من هوية اجتماعية إلى الطائفية في شمال الهند، ١٨٧٠ ـ ١٩٤٠، (رسالة دكتوراه من جامعة كاليفورنيا، بيركلي، ١٩٨٠)، هنا أناقش ظاهرة قبل ذلك هي ما يسمى تكون المجتمع.

(٢) بريان س. تورنر Bryan S.Turner: من أجل ويبر Weber (بوستون: روتلدج وكيجان بول ١٩٨١)، ص ١٢٦.

التحول النوابي في لكنو

أصبحت لكنو دولة شيعية (دار للشيعة) وذلك تحت الحكم النوابي، وهناك كان العمال والحرفيين الذين اتبعوا عقيدة الاثنى عشرية، يوقرون الأئمة، وكان التحول الاداري والمعماري للمدينة مقدمة لهذا التطور، وقد نقل النواب آصف الدولة (١٧٧٥ ـ ١٧٩٧) البلاط الشيعي الحاكم من فايز آباد إلى لكنو في عام ١٧٧٥، وكانت المدينة في ذلك الحين مدينة صغيرة وهي بالفعل مركزاً رئيسياً لصناعة النسيج، فكانت لهذا العاصمة الإدارية للإقليم[٣]، ومع ذلك فإن ١٧٧٥ تمثل بداية عهد جديد.

وكان بإمكان الشيعة عندما كانوا يسكنون في دلهي أولاً ان يغيروا العاصمة وفقاً لإدراكهم أو فهمهم للاحتياجات العسكرية والأمنية[٤]، ومع هذا فمنذ الربع الأخير من القرن الثامن عشر وجدوا أنفسهم في مأزق بسبب البريطانيين، وأوجدت الحدود الثابتة بعد عام ١٨٠١ والدخل الثابت ضمن هذه الحدود، أوجد كل هذا عاصمة ثابتة، وظلت مدينة فايز آباد بما فيها من أصحاب أراضي ومزراعين تتنافس مع مدينة لكنو، على أن العاصمة نمت بحيث شكلت دار السلطنة الحقيقية الوحيدة في أود وإحدى المدن الكبرى في شبه القارة الهندية.

وتركزت النفقات الكبرى من قبل الأشراف في العاصمة فدعمت آلاف الحرفيين واجتذبت التجار «ذوي الأموال الكبيرة» من كل أنحاء الهند[٥].

وكانت التجارة القوية للنسيج والجياد بين كشمير والبنغال تمر خلال لكنو، وسرعان ما زاد سكان هذه المدينة، وقد أحصى تينانت Tannant في عام ١٧٩٩، عدد السكان في المدينة بحوالي نصف مليون (وربما كان هذا مبالغة)، وأبدى اعجابه بالأعمال المعمارية الواسعة في عهد آصف الدولة، وكتب يقول: «ربما لم تكن هنا مباني في بريطانيا توازي في مظهر الخارجي القصور الموجودة في لكنو»[٦]، لكنه لاحظ الفقر الكبير في المدينة والقذارة، ووجود عدد كبير من العمال والحرفيين العاطلين عن العمل.

ولقد جهز آصف الدولة برنامجاً واسعاً للبناء، وحول كثيراً من المباني القديمة إلى حدائق جميلة رائعة المنظر على غرار الاسلوب الفارسي، وبالفعل تطورت المدينة بسرعة كبيرة في سنوات الـ ١٧٧٠ وسنوات الـ ١٨٨٠، حتى ان أظفري Azfari وجد أنها غير موزونة، وأعطي مشروع البناء قوة كبيرة بسبب سنوات الجفاف من ١٧٤٨ ـ ١٧٨٥، حيث لم يهطل المطر في أود لمدة عام كامل.

---

(٣) انظر روزي لولين ـ جونز Rosie Llewelyn- Jones: مدينة لكنو قبل عام ١٨٥٦، في كتاب تحرير ك. بالهاتشيت وج. هارسون، المدينة في جنوب آسيا، قبل الحديثة والحديثة (لندن: مط. كوزون، ١٩٨٠)، ص ٩١ ـ ٩٨، وكتاب هـ. ك. نقوي Naqvui المراكز المدنية والصناعات في الهند العليا، ١٥٥٦ ـ ١٨٠٣ (بومباي: دار النشر الآسيوية، ١٩٦٨) ص ١٣٩.

(٤) س. أ. بايلي: الحكام، رجال المدن والأسواق (كامبردج: مط جامعة كامبردج، ١٩٨٣، ص ١١٥ ـ ١١٧.

(٥) ڤيكونت جورج ڤانتينا: الرحلات في الهند، ٤ مجلدات (لندن: ف. س. و ج. ريڤنجتون، ١٨١١)، الأول ص ١٢٠.

(٦) وليام تينانت William Tennant: الإنعاش في الهند، ٣ مجلدات (لندن: لونجمان، ١٨٠٤ م) الثاني ص ٤٠٥.

كذلك فإن المناطق الشرقية أيضاً تضررت فأدى هذا إلى زيادة في عدد اللاجئين الى مدينة لكنو. وكان العمال والفلاحين يعانون بشدة وذلك لأن كثيراً منهم كانوا يباعون كرقيق، وارتفع بشكل عظيم سعر القمح في العاصمة، وكان سيد عباس أرديستاني Abbas Ardistani يتذكر هذا القحط وقد حدثه عن ذلك وقال أيضاً إن الناس يأكلون من الزبالة[٧].

وأخذ آصف الدولة وحسن رضا خان وتيكت راي Tikait Ray لتدارك هذه الأزمة، يقيمون المشاريع على نطاق واسع كوسيلة لامتصاص الزيادة الكبيرة في عدد العمال الذين أتوا من الأرض وفي تجنب الشغب في المدن من أجل الغذاء، وبدأت بالفعل في عام ١٧٨٥ أعمال كبيرة مثل سوق، وبوابة كبيرة و ودوشة الرومي، والامام بارا الكبيرة، وعمل آلاف من العمال ليلاً ونهاراً من أجل المشاريع لمدة سنوات عديدة. بل إن أشخاصاً من كبار العائلات كانوا يعملون في الليل لكسب قوتهم، وقد أنفق الوزير مليون روبية في العام على المباني [٨].

وربما زاد عدد سكان لكنو في الفترة ما بين عامي ١٧٧٥ ـ ١٨٠٠ من مائتي ألف إلى ثلاثمائة ألف[٩]. وقدر «شرواني» Shirvani أنه في حوالي عام ١٨٠٥ كان في المدينة ١٠٠ الف من السكان وألفي فندق وألف جامع[١٠]، وكانت الزيادة أيضاً بنتيجة نمو لتجارة المنسوجات مع كلكته، وكان لزيادة عدد المسلمين والهندوس من العمال والحرفيين في المدينة أثر في قيام شبكات اجتماعية جديدة وتقاليد شعبية، وقد تمسك المهاجرون من المدن بإقامة مجالس على الطراز الشيعي للحداد على الإمام الحسين.

مؤسسة الإمام بارة Imambarah

كنتيجة للحاجة لمكان حيث يستطيع أتباع الإمام علي الحداد على ابنه الشهيد الحسين بشكل جماهيري، أُنشأت مؤسسة الإمام بارة وغيرها من المؤسسات المماثلة الأصغر حجماً. وكلمة إمام بارة تعني باللغة الأردية (بيت الإمام)، ولقد أقام النواب صفدر جنك Safdar Jang إمام بارة في دلهي. وخلال حكم شجاع الدولة أقام آغا باقر خان لابن أخيه امام بارة في لكنو.

وربما كانت الإمام بارة في شمال الهند في القرن الثامن عشر قد تأثرت بالنموذج

(٧) علي بخت أظفري Ali Bakht Azfari : فاكهة أظفري، تحرير ت. شاندرا سياوان (مدراس. مط. نوري، ١٩٥٧)، ص ٩٦، انظر إنعام علي: «أوصاف الآصاف» فارسي تاريخ، مخطوط ٢٥، الورقة ٦٣a ـ ٦٥a، مكتبة مولانا أزاد، جامعة عليكرة الاسلامية، عليكرة ومرتضى بيلجرامي: حديقة الأقاليم (لكنو: ناڤال كيشور، ١٨٧٩) ص ١٥٥، سيد عباس أرسيستاني Sayyed Abbas Artistani «الحصن المتين في أحوال الوزراء والسلاطين»، مجلدان، مخطوط عربي 235a-b.

(٨) أبو طالب اصفهاني: تفضيح الغافلين Tafdih al-ghafilin، تر. و. هوي (لكنو: بوستاك كندرا، طبعة معادة، ١٩٧١) ص ٧٢ ـ ٧٣.

(٩) لولين ـ جونسن: مدينة لكنو قبل عام ١٨٥٦، ص ١٠٤.

(١٠) زين العابدين شرواني: بستان السياحة (طهران: دون ناشر، ١٨٩٧) ص ٥٢٣.

الايراني (الحسينية) او التكية، ثم بالنموذج في جنوب الهند عاشور خانه Ashur Khana [١١]. واستدعى الحكام المهندسون لتصميم بناء الإمام بارة الكبير وكان الفائز هو المهندس من دلهي المدعو كفاية الله، إذ لم يكن الامبراطور المغولي ولا الوزير يسيطر على راجستان Rajasthan، ولم يكن بالإمكان الحصول على رخام كالذي استعمل في (تاج محل)، ولذلك فقد اضطر كفاية الله أن يعتمدوا على التكنيك أو الفن الهندي المحلي، فاستعملوا قوالب الطين والحجر، مع خليط من الطين جعل العمل يبدو عملاً هائلاً[١٢]. ولقد قدر (مشهدي) Mashhadi تكاليف البناء نصف مليون روبية، على أن الرحالة الايراني (شوشتري) Shushtari قدر تكاليف الزخارف التي تظهر التبذير، بما يقرب من مليون روبية [١٣]، كذلك فقد شهد إصفهاني Isfahani على النفقات الباهظة التي أنفقها الحكام على الإمام بارة وزخارفها[١٤]، وقال بأنه حتى بعد إنجاز البناء في عام ١٧٩١ م (١٢٠٥ هـ) فإن النواب أنفقوا أربعمائة أو خمسمائة ألف روبية على زخرفته سنوياً، وقد وضعت مئات من الآثار الذهبية والفضية التي تمثل قبر الإمام الحسين في كربلاء، في الصرح كتقدمة للإمام، بالإضافة إلى القناديل الزجاجية، وكانت هذه كثيرة بحيث لم تترك فراغاً لجلوس المشاهدين والنائحين، وكتب ڤالنتيا Valentia أن الإمام بارة كانت مزخرفة بالقناديل خلال شهر محرم بشكل مذهل وأن المؤمنون كان يتلون الصلوات في كل مكان من البناء.

وأشار إلى أنه في كل مساء كان كل الكفار وأتباع عمر وعثمان وأبو بكر يلعنون لتهذيب الهندوس الذين كانوا يأتون في تلك المناسبة بأعداد هائلة[١٥].

وقد أخذ رجال بلاط آصف الدولة ينافسون مشروعه البنائي في مناطقهم فأنشأوا في كل حي منازل جديدة عبارة عن إمام بارة وجوامع[١٦]، أما حسن رضا خان فقد بنى إمام بارة ومسجد ولما تهيأ المسجد نقل صلوات الجمعة إليه من قصره، ثم فيما بعد كانت الصلاة تقام في الجامع الكبير الذي بناه آصف الدولة إلى جانب الإمام بارة الكبيرة[١٧].

ولقد كان بعض الرجال من خيرة أشراف الشيعة في لكنو يبنون الإمام بارات، هؤلاء أمثال عرفان علي خان، تحسين علي خان، رمضان علي خان، وتجمل حسين خان، في تلك الفترة كما كان يفعل كثير من السنة والهندوس، وفي فترة الـ ١٨٠٠ وما بعدها كانت كثير من مباني الإمام بارات تزين لكنو، وتبلغ ٢,٠٠٠ مبنى[١٨]، وقد أسس رجل الشيعة

(١١) ك. أ. نظامي: إمام بارة El_2، سيد آغا مهدي لكنوي Lakhnavi تاريخ لاكنو (جمعية الخدام، ١٩٧٦) ص ١٥٢ـ ١٥٣.

(١٢) جيمس فيجرسون: تاريخ العمارة الهندية والشرقية، مجلدان (لندن: جون موراي، ١٩١٠)، الثاني ص٣٢٨ـ٣٢٩.

(١٣) حول بناء الإمام بارة، انظر عبد اللطيف شوشستري: تحفة العالم add. 23, 533 المكتبة البريطانية، الورقة 194a، مرتضى بيلجرامي: حديقة ص ١١٥، وكمال الدين حيدر حسيني مشهدي، سوانح سلاطين أود (لكنو: ناڤال كيشور، ١٨٩٦)، ص ١١٢، تحرير نيڤيل Nevill، لكنو DG، ص ٣٠، ٢٠٣.

(١٤) اصفهاني: تفضيح الغافلين، ترجمة هوي، ص ٧٣ وما بعدها.

(١٥) ڤالينتيا: رحلات: الأول: ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

(١٦) اصفهاني: تفضيح الغافلين ترجمة هوي، ص ٧٢.

(١٧) مهدي لكنوي: تاريخ لكنو، ص ٤٩.

(١٨) انظر مثلاً نفس المرجع ص ٤٩ ـ ٥٠، ٧٧، ١٢٧، ١٨٢ ـ ١٨٣، ١٩٢ ـ ١٩٣، وكتاب زين العابدين

البارز سيد ديلدار علي ناصر آبادي إمام بارة في اوائل عام ١٧٩٠، أصبحت فيما بعد مركزاً كبيراً للثقافة الدينية وموضعاً لمثوى كثير من علماء الشيعة[١٩].

وكانت هذه الأماكن تستخدم لمهام عديدة فكانت مكاناً للطقوس الشيعية وللعبادة، وبمثابة صالون للأدب وكآثار أيضاً ومقابر للعائلات، وأصبح من المعتاد فيما بعد أن تمنح هذه المباني كأوقاف كوسيلة لنقل الثروة للأجيال القادمة لطالما أنه لم يكن من الممكن في ذلك الحين بيعها[٢٠].

وكان قراء القرآن أيضاً والمشرفون على المبنى يعملون في هذه المؤسسة.

ومع هذا فإن الأشراف لم يكونوا ينفقون على هذه المباني مثلما كان ينفق عليها الحاكم ورجاله، فمثلاً كان ميرزا جنك علي Mirza Jangali يأخذ معاشاً شهرياً من شقيقه نواب سادات علي خان مبلغاً قدره ٣,٠٠٠ روبية، فاشترى قطعة ارض في باتنا Patna في آخر عمره بهذا المبلغ وبنى مسجداً وإمام بارة فيه، وعين فيه مدير وآخرون بمعاش مقداره ٥٠ روبية في الشهر، ومن هؤلاء مقرئي القرآن والصلوات والمشرفين على البناء، ولما توفي الميرزا دفن على هذه الأرض، ثم تابع النواب فيما بعد في جعلها المثوى لسلالته، إلا أن البريطانيين منعوا ذلك بسبب اشتراك آله في العصيان في الفترة من ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨[٢١].

وعلى عكس إيران فإن هذه الأوقاف نادراً ما كانت تكون تحت إشراف العلماء الكبار، وفي الحالة التي ذكرناها كان أبناء المتوفي هم الذين يشرفون على الوقف.

وقد اجتذب بلاط آصف الدولة كثيراً من الشعراء ورواة الشعر والمراثي وأصبحت لهؤلاء مكانة كبيرة في المجتمع، وقد ألقى ميرزا محمد رضا وهو صديق حسن رضا خان وشاعر كبير من شعراء المراثي، من القرآن وذلك في الاحتفال الذي أقيم لتأبين نواب شجاع الدولة من قبل زوجته في فايز آباد[٢٢]، وقدم إلى لكنو شعراء المراثي مثل ملا محمد شوشتري وشاه حسين ولايت الذين أتوا من ايران، ووجدوا تقديراً لهم في بلاط النواب، وعين آصف الدولة الشوشتري وهو شاعر، لكي يتلو المراثي في الإمام بارة الكبيرة، وكان ماهراً في الفن الموسيقي (وهو فن لا يسمح به العلماء الدينيون)، كما كان له صوت جميل يذيب قلوب الناس[٢٣].

الشرواني: رياض السياحة، ٣ مجلدات (موسكو، ١٩٧٤) ج ٣، ص ١٠٥٣.

(١٩) مهدي لكنوي: تاريخ لكنو، ص ١٥٤ ـ ١٥٥، وكتاب م. هـ. زيدي Zaidi: احتفالات محرم في لكنو خلال الحكم في أود من ١٧٢٢ ـ ١٨٥٦، مقال باللغة الألمانية، في مجلة معهد الدراسات الألمانية الملحق (٣)، (١٩٧٧)، ص ٦٣٩.

(٢٠) انظر سيد ديلدار علي ناصر ابادي: نجاة السائلين: فقه شيعي، مخطوط فارسي رقم256 fall 7a في المكتبة الناصرية في لكنو، وهو مجموعة من الأحكام الشرعية لأول مجتهد في لكنو أعدت في العقد الأول من القرن التاسع عشر.

(٢١) Far Zand Ali Khan to chief commissioner, oudh, 7960,Boara of Revenue, Lucknow File 2607, ارشيف مقاطعة اوترت برديش.

(٢٢) محمد فيض بخش: تاريخ فرح بخش ترجمة وليم هوي، مجلدان (طبع في اله آباد ـ مطبعة الحكومة (١٨٨٨ ـ ١٨٨٩) الثاني: ١١٢.

(٢٣) شوشتري: تحفة العالم ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

وبدأ بعض الشعراء أمثال ميرزا رفيع الدين سودا وميرتقي مير، بالاتجاه إلى لكنو من دلهي التي تخمد فيها الحياة، حيث اتجهوا إلى المراثي الدينية أو شعر المراثي. وتخصص بعض الشعراء في هذا الفن، مثل ميان اسكندر، وجادا، ومسكين، وأفسورداه، وأخذ هذا الشعر يحل محل الشعر بالأردو المفضل لدى أهل الدكن، فشكل نقله إلى شعر الملاحم الذي يصور ما حدث للإمام الحسين، وذلك في منتصف القرن التاسع عشر(٢٤).

وكان للشعر إذن غرضان أحدهما أدبي والآخر ديني، فكان الشعر يلقى في الجلسات التي تعد للحداد لتذكر اليوم المقدس الخالد في عاشوارء، حين استشهد سيد الشهداء ببذل دمه، فكان الشعر يمثل هذه المعاني أكثر من النثر، وقد صور أحد الشعراء وهو مير Mir الجذب الرمزي للإمام الحسين للشيعة في أود، وقد أتوا إما من بلاد عربية أو من ايران، ويقف الإمام الحسين مواجهاً خصومه المتعطشين للدماء بعد أن فقد أعوانه ممسكاً بابنه الرضيع على الأصغر، ويخاطب الشاميين فيقول:

الآن أقسم لكم قسماً
بأنني سوف أسترجع شرفي
سأذهب إلى أي مكان بعد أن
تركت هذا الجيش العربي،
وسأجعل من الهند مقراً لي(٢٥).

كما أن العلماء السنة مثل مولوي مبين فرنجي محلي (توفي ١٨١٠) ساهموا في أدب الرثاء للإمام الحسين، وقد كان العلماء الشيعة يدخلون حوادث كربلاء في خطبهم وكانوا يأتون بدراسات حول المأساة تعتمد على الأحاديث العربية الشفوية من الأئمة أنفسهم(٢٦).

كذلك فإن تطور (الإمام بارة) باعتبارها بناء تحت رعاية بلاط الحكام ورجال الحاشية، هيأ مكاناً خاصاً للشيعة كي يلتقوا ببعضهم، وأصبح بإمكان الشيعة الاحتفال بوفاة الأئمة في مكان خاص وبشكل جماهيري، وأصبحت الإمام بارة وبعض المنازل الصغيرة وبيوت المؤمنين مراكز للجماعات الشيعية الجديدة وأماكن يستطيع فيها السنة والهندوس أن يعتنقوا المذهب الشيعي.

---

(٢٤) انظر محمد صديق: تاريخ أدب اللغة الأردية (لندن: مط. جامعة أكسفورد، ١٩٦٤)، الفصل (٩١). وكتاب رالف راسل وخورشيد الإسلام: الشعراء المغوليون الثلاثة: مير، سودا، ومير حسن (كامبردج: مط. جامعة هارفارد، ١٩٦٨)، وكتاب عبد الحليم شرار: كزشته لكنو Guzashtah Lakhnau: شرقي تمدن كا أخيري نامونا (لكنو: مكتبة نسيم، ١٩٧٤) ص ١٠ ـ ١٠١، تر. أ.س هاركورت وفقير حسن بعنوان: لكنو الوجه الأخير للثقافة الشرقية (بولدار، مط. وستيفو، ١٩٧٦)، ص ٨٤، انظر زهرة إقبال مرثية في فترة القاجار Qajar، في كتاب بيتر ج. شلكوسكي، (محرر): تعزية الطقوس الدينية والمأساوية في ايران (نيويورك، مط. جامعة نيويورك، ١٩٧٩). من أجل مرثية مير، انظر صفدار اه، مير، ميرايت Mir aw Miriyyat (بومباي: مكتبة آلاثي، ١٩٧١)، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٦.

(٢٥) مير تقي مير: كليات مير: بعناية احتشام حسين مجلدان (اله آباد ١٩٧٢) ٢/ ٢٥٩.

(٢٦) سيد آغا أشهر لكنوي: تذكرة الذاكرين (جهانسي: مط. شمس، ١٩٤٢)، ص ٢٦، وقد دفع موت أحد أبنائه السيد ديلدار علي لكي يصدر مثل هذا الحديث عن كربلاء، انظر «إثارة الأحزان»، مخطوط عربي H.L.2292، مكتبة خودابخش الشرقية العامة، پتنا Putna.

مزار حضرة الإمام عباس

كانت الديانة الشعبية في شمال الهند تتركز في أضرحة الأولياء، ولا شك أن الشيعة قد تطلعوا إلى مثل هذه الأماكن الخاصة، وقد بدأت تنمو في أواخر القرن الثامن عشر مثل هذه المزارات، وقد عاد شخص يدعى مرزا فقير بك إلى لكنو بتبرك من مدينة كربلاء المقدسة في العراق، وذلك في عهد آصف الدولة (١٧٧٥ ـ ١٧٩٧)، وقال إنه استطاع بواسطة حلم أن يكتشف الشارة المعدنية بالبيرق الخاص بالعباس، وهو الأخ غير الشقيق للإمام الحسين وذلك في معركة كربلاء، وقد احتفظ بالشارة في بيته في رستم نكر Rustamnagar، حيث أخذ الناس يحضرون (النذر) ويضعونها بين أيديه، وقد كان البناء في أول الأمر يتألف من أربعة جدران وسقف غير مزخرف وفناء صغير[٢٧]، وقد كانت شعبية هذا الموضع تجتذب اهتمام نواب آصف الجولة فقام هو نفسه ببناء قبة لبيت الدرويش وجعل منه مزاراً مناسباً[٢٨]، وأصبح المكان مقراً شعبياً للأشخاص الذين يبحثون عن علاج أو أبناء أو بركات روحية، وأصبحت تجارة الزهور والحلويات مزدهرة أمام بوابة المبنى، وأخذ اللصوص يتجمعون في ذلك الجزء من المدينة نظراً للثراء الذي جلبه المزار على مدينة رستم نكر[٢٩].

لكن نقطة التحول كانت عندما وقع سادات علي خان صريعاً للمرض حوالي عام ١٨٠١، إذ أقسم على بناء مبنىٰ جديد فخم للإمام فيما لو شُفي من مرضه، ولما شفي بالفعل في عام ١٨٠٣. توجه مع حاشيته إلى مزار عباس، يوزع الأموال على طول الطريق، وفي المزار صلى صلاة الشكر ثم أمر بإقامة بناء جديد له قبة مذهبة كبيرة في المكان.

ولما أخذ بعض الأشراف ينسبون المزار إلى أنفسهم، لذلك أصبح من الضروري توفير الأمن، فوضع الحاكم شرطة في منطقة مجاورة للمبنى[٣٠]، وقد ذكرت المسز علي أنه خلال شهر محرم كان الدخول بالنسبة للفقراء والأغنياء مسموحاً على حد سواء، ولكن خلال الشهور الأخرى كان مقيداً بعض الشيء بالنسبة للفقراء[٣١].

بل إن نذراً كثيرة ذات قيمة كانت تحفظ في المزار، بما فيها مجموعة من المجوهرات عددها (٥٢) قطعة لا تقدر بثمن، وقد أضيف مكان للنساء حيث يمكن أن يصلين[٣٢]. وقد كانت نساء الأشراف يزرن المزار ويحضرن بأبهة، وذلك بعد ولادة مولود مثلاً، وكان يصحبهن أحياناً بعض الأقارب والأصدقاء والخدم، وكان بعض النساء والرجال أيضاً يزورون المزار بعد شفائهم من المرض أو بعد اجتيازهم الأخطار. وبعد وفاة ميرزا فقير خلفه ابنه

(٢٧) غلام علي نقوي، عماد السادات (لكنو: ناڤال كيشور، ١٨٩٧)، ص ١٧٢.
(٢٨) مهدي لكنوي: تاريخ لكنو، ص ١١٦ ـ ١١٧.
(٢٩) نقوي: عماد، ص ١٧٢.
(٣٠) نفس المرجع، وكتاب أرديستاني «الحصين المتين»، الأول ص٥٦ ـ ٥٧.
(٣١) مسز مير حسن علي: ملاحظات حول المسلمين في الهند (لندن: مط. جامعة أكسفورد، ١٩١٧)، ص ٣٦.
(٣٢) مهدي لكنوي: تاريخ لكنو، ص ١١٦.

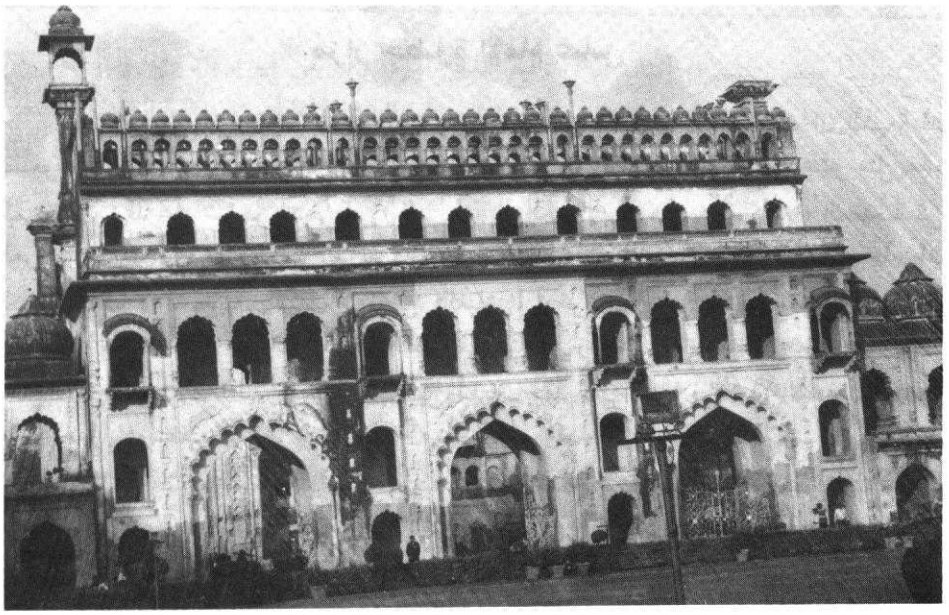

مشهد من الحسينية الآصفية (لكنو)

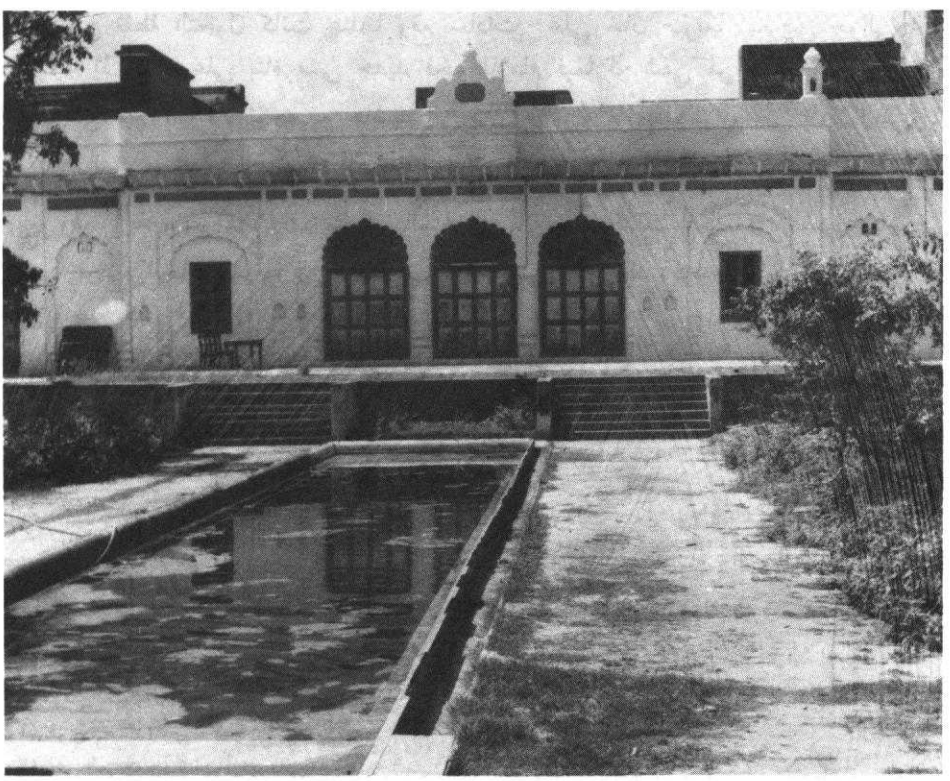

مدرسة الواعظين لتدريس العلوم الإسلامية الشيعية (لكنو)

علي في رعاية المزار[٣٣].

وأخيراً دخل المزار في طقوس الحداد في محرم بمدينة لكنو وهي خطوة سوف نقوم بشرحها فيما بعد، ولقد وجد أحد الصوفيين الشيعة الذين شجبهم العلماء بقوة كهرطقيين، وجد أن مزار عباس هو ظاهرة فولكورية صرفة، وقد بقي هذا المزار تحت سيطرة الأسرة التي أسسته، وشكك بعض العلماء في صحة شعار الإمام عباس في مزار الإمام[٣٤]، ولم يكن لتعبير التشكيك هذا تأثير على الأعداد الكبيرة التي كانت تزور الضريح أو المزار.

وحاول الأشراف الهيمنة على المزار وبهذا أصبحت المنطقة كلها ذات ثراء وأصبح من الضروري حراستها من قبل الشرطة، وكان المزار هو المظهر الوحيد للمحبة الشعبية لآل البيت، وللاعتقاد بالتوسل إلى أفراد هذه الأسرة.

وفي أيام الجمع كان المؤمنون يكتبون توسلات إلى الإمام الثاني عشر الذي كانوا يعتقدون انه سيحكم العالم عندما يظهر بعد ألف عام[٣٥]، وكان بعض الشيعة يرسمون صوراً لرسول الله والأئمة تعتمد على ما يعرفونه حول فضائلهم ومظاهرهم، ووضعوا هذه الصور في المزارات التي كانوا يقومون بزيارتها، ولما علم «سيد ديلدار علي» بأمر هذه الصور قال بأن هذا كان محرماً في الإسلام وبأن زيارة هذه الصور شيء ليس له معنى[٣٦].

وهناك علامة أيضاً عن المعتقدات التي تختلف عن معتقدات المجتهدين، وهو توقع ظهور الإمام الثاني عشر، وقد انتشرت هذه التوقعات بين الشيعة في أود، وحول هذا كتبت السيدة علي تقول، إن معظم أهالي شمالي الهند من الشيعة كانوا يعتقدون بأن الإمام الثاني عشر سوف يعود في عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م)، وأنه ربما كان مصحوباً بالمسيح وحينئذ سوف يخلصوا العالم من الشرور بحيث «يصبح كل الناس ذوي تفكير واحد وإيمان أو عقيدة واحدة»[٣٧].

وقد أدرك الشيعة في شمال الهند أنهم محاصرين بالنفوذ المسيحي في منطقتهم، وهذا الادراك وعدم الانسجام أو التنافر بسبب توسع حكم شركة الهند الشرقية.

وقد جعلت هذه المزارات للأئمة الاعتقاد بين عامة الشعب في لكنو يتعزز بهذا الإمام الثاني عشر، إلا أن صراعاً على السيادة قد نشأ بين كثير من الجماعات في المجتمع، وكانت المزارات مثل مزار الإمام عباس تحت إشراف الحكام والأشراف فكانوا يهتمون بضبط الأمن وبعدم السماح لعدد كبير بالدخول إلا في أوقات إقامة الطقوس على نطاق واسع.

(٣٣) علي: ملاحظات، ص ٣٤ ـ ٣٥، نقوي: عماد، ص ١٧٢، وكتاب تأليف إيمار روبرتس Emma Roberto بعنوان: مشاهد مميزة من هندستان، (٣) مجلدات (لندن: وم. هـ. آلن وشركاه، ١٨٣٥)، الثاني ص ١٨٠.

(٣٤) مهدي لكنو، ص ١١٦.

(٣٥) علي: ملاحظات، ص ٩١، ١٥٦.

(٣٦) ناصر آبادي: نجاة السائلين، الورقة 21b.

(٣٧) علي: ملاحظات، ص ٧٦.

شعائر محرم

إن قصة استشهاد الإمام الحسين وآله والشعائر الدينية قد تطورت وساعدت على تكوين مجتمع شيعي في أود، هذه القصة التي كان يسميها فيشر Fisher «مثال كربلاء»، وقد تضمنت حقائق عن العدل والظلم، الحياة والموت[٣٨]، وهناك ظاهرة هامة وهي استجابة الشيعة في أود وكذلك السنة والهندوس لشهر محرم الذي تقام فيه شعائر الحداد، وتعود أهميتها أيضاً إلى أنها هيأت علاقات اجتماعية.

وكانت الشعائر في شهر محرم تتميز بالمبالغة وذلك في عهد آصف الدولة. وفي عام ١٧٨٤ ضرب الحاكم نفسه بعنف وذلك في العاشر من شهر محرم حتى أن الدم أخذ ينزف بغزارة وسقط مريضاً، وكان مرافقوه قد فعلوا مثله خلال هذا الشهر، وقد اعتاد أحدهم وهو خواجة عيون الدين وهو مزارع في باريلي، اعتاد أن يرفض أي أحد يطلب منه هدية[٣٩].

أما سادات علي آصف الدولة فقد كان متحفظاً بعض الشيء، إذ نظراً للخسارة التي لحقت بأملاكه بسبب البريطانيين، فقد قلّص من إنفاق من المال على الاحتفالات في محرم.

وكانت الاحتفالات من الأبهة بحيث يكاد يكون من الصعب تمييزها عن احتفالات الفرح[٤٠]، وقد كان المسلمون في لكنو يوزعون ماء الورد بدلاً من الماء وحده، في ذكرى العطش الذي أحس به الإمام الحسين ورفاقه حين عذبوا، وكانت بعض السيدات يمنحن الحليب للناس في الطريق وأقيمت إلى جوانب البيوت أماكن حيث يستطيع الناس المارين أن يشربوا الماء ليطفئوا عطشهم[٤١].

وفي أوائل عام ١٨٠٠ كان نخبة القوم ذوي المراكز العالية لهم إمام بارة بينما المتوسطون تقام احتفالات في بيوتهم الكبيرة[٤٢]، وأخذ بناء الإمام بارة ينتشر بعد ذلك في ١٨٢٠ وما بعدها وكانت هذه الإمام بارة تُبنى بشكل دائري له قبة، وكان حجم هذه الأبنية يختلف تبعاً لثراء الباني وكانت تستخدم أيضاً لضريح للعائلة، وكان الضيوف يجلسون على سجاد قطني ممدود على أرض الإمام بارة، وكان هناك مكانين مقدسين أحدهما المنبر والثاني الضريح، وهو أثر من ضريح الإمام الحسين في كربلاء وكلا من المكانين يتجه إلى

(٣٨) يعرف فيشر المثال بأنه يشتمل على ثلاث عناصر:
(١) قصة تشتمل على مشاكل الحياة اليومية، التاريخ والكون.
(٢) الخلفية الطائفية (مثلاً السنة)
(٣) المأساة الدينية، انظر مايكل م.ج فيشر، ايران من النزاع الديني إلى الثورة (كامبردج: مط. جامعة هارفارد، ١٩٨٠)، ص١٣١ ـ ٢٧.

(٣٩) هارشاران، داس Harsharan, Das: شهار كلزار شجاعي: المكتبة البريطانية رقم or.1732. fall 254a-b، وكتاب اصفهاني: تفضيح الغافلين، ترجمة هوي، ص ٣٥.

(٤٠) الاقتباس من كتاب لروبرتس Roberts: مشاهد ومميزات، الثاني ص ١٧٨ ـ ١٧٩، انظر أيضاً ڤالنتيا «رحلات وأسفار»، الأول ص ١٢١.

(٤١) علي: ملاحظات ص ١٣.

(٤٢) ڤالنتيا: رحلات وأسفار، الأول ص١٢١.

الكعبة، وكان رواة المراثي يجلسون في بعض الأحيان، والبعض الآخر منهم يظل واقفاً، وذلك على درجات من الخشب المغطى بقماش مذهّب او قماش كبير (لونه أخضر إذا كان يملكه سيد)، وعلى كل جانب من جانبي النصب التذكاري لقبر الإمام الحسين يوجد صفوف من المطرزات الذهبية او الفضية وهي ذات حواشي تعلوها شارات وتوجد أيدي ذات خمسة أصابع تمثل «الأرواح الخمسة الطاهرة» وهي محمد، فاطمة، علي، حسن والحسين(٤٣).

وكانت هناك أشكال مختلفة من النصب التذكارية تبعاً لثراء الشخص الذي يملك البناء، وذلك في كل من لكنو، دهلي، كلكته وحيدر آباد(٤٤).

وكان يوجد في الإمام بارة الكبيرة (١٤) ضريحاً من الفضة الخالصة لكل من الأئمة الاثني عشر، وواحد لرسول الله صلى الله وآله وسلم وآخر لفاطمة(٤٥)، أما النصب التذكارية المصممة من اجل الإمام بارة فقد كانت إما من العاج او الأبنوس أو خشب الصندل، وكان ثمن تلك الغير ثمينة والمصنوعة من خشب البامبو او مواد أخرى ملونة يتراوح بين ٢ ـ ٢٠٠ روبية. وكان العمال يصنعون هذه النصب في منازلهم ويحملوها في الشوارع(٤٦)، ولم يكن مسموحاً للعمال والحرفيين أن يزوروا المكان دائماً، بل كان مسموحاً فقط لأقرباء الأشراف وأصدقاؤهم بذلك(٤٧).

وانتشر أنموذج الحداد لدى الطبقة العالية من لكنو الى المقاطعات الريفية من خلال البلاط الحاكم العالي في لكنو، وأصبح حكام فروخ آباد Farrukhabad في أواخر القرن الثامن عشر من الشيعة، وكان علي خان من باتوامو Bhatwamu وهو من أصحاب الأراضي الكبار (توفي ١٨١٥) في أود، أول سني (تعلقدار) يصبح شيعياً ويبدأ بممارسة طقوس الحداد في مركز حكمه(٤٨)، وكان بعض زعماء الشيخ زادة في لكنو قد تحولوا إلى المذهب الشيعي أثناء حكم صفدر جنك Safdar Jang، كذلك فإن محمد امام خان (توفي حوالي ١٧٦٠) من مقاطعة محمود آباد في سيتابور Sitapur تزوج امرأة شيعية من شيخ زادة، وتحول أحد أبنائه وهو محمد مظفر علي خان (١٧٩٠) إلى ذهب الشيعي وكان قد ورث القسم الصغير من المقاطعة في بيليرا Belera، وبارا بانكي، ورغم ان تحوله الى المذهب الشيعي جعله يدخل في الدوائر الحاكمة في لكنو إلا أنه واجه عداوة كبيرة من قبل والده وأقربائه الآخرين، وبقي القسم الأكبر من محمود آباد تحت حكم شقيق مظفر علي خان وكان سنياً واسمه إكرام علي خان (توفي حوالي ١٧٧٥)، وقد حكم أحد أبناء إكرام وهو مصاحب علي خان مقاطعة محمود آباد من ١٨٠٥ ـ ١٨١٩، واستولى على اكثر من ٢٣٢ قرية وأنشأ علاقات متينة مع البلاط الحاكم في أود بدعمهم ضد المتمردين.

(٤٣) علي: ملاحظات ص ١٩ ـ ٢١.

(٤٤) سيد حسين علي جعفري: شعائر محرم في الهند، في شيكوسكي، محرر تعزية ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٤٥) عبد الوهاب قزويني: سياحت نامة في ممالك هندستان، ص ٢٢٠، مخطوط فارسي في مكتبة البروفسور أمين بناني، UCLA.

(٤٦) علي: ملاحظات ص١٨.

(٤٧) المرجع السابق، ص ٢٧.

(٤٨) محمد إمام علي خان: أثاري يادكار (لكنو: مط. تصويري علم، ١٩٠٢)، ص ٤٧ ـ ٤٨.

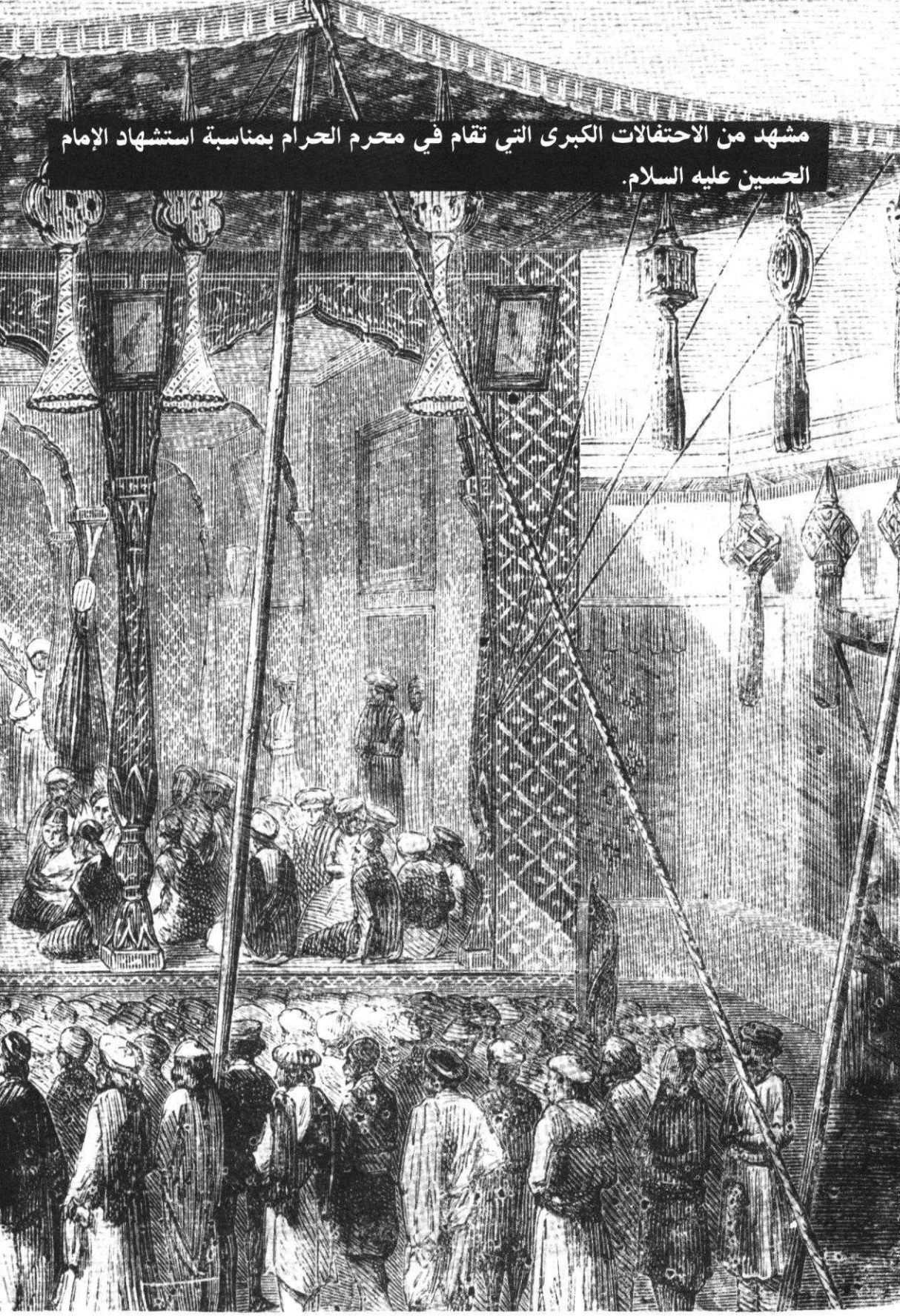

مشهد من الاحتفالات الكبرى التي تقام في محرم الحرام بمناسبة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

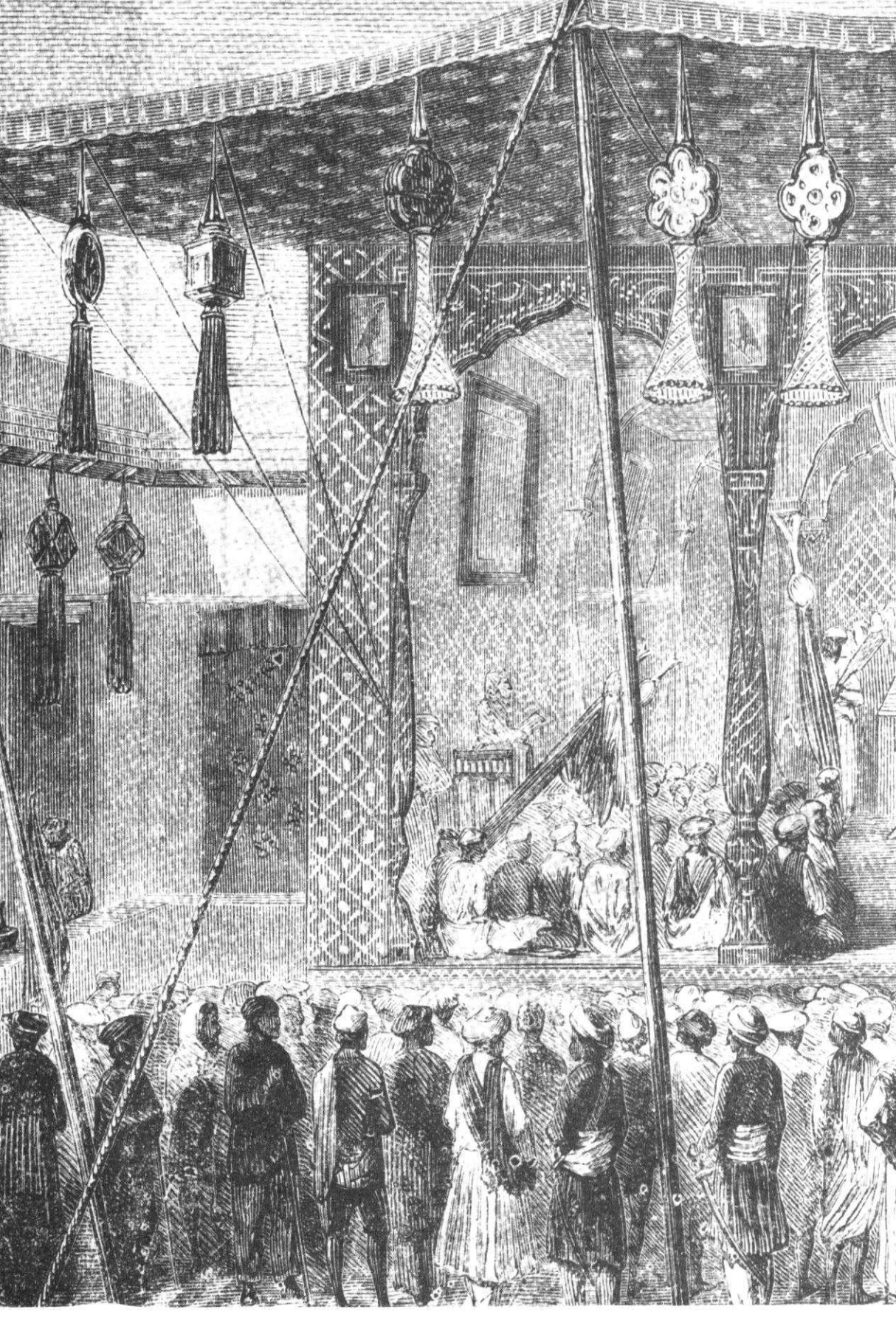

ورغم أنه بقي سنياً، فقد بدأ بطقوس الحداد على الإمام الحسين في بناء داخل القلعة في سيتابور Sitapur، ولم يكن لديه ولد، فتبنت زوجته في عام ١٨٣٦ ولداً من احد فروع العائلة الشيعية Belehra، وهو راجا نواب علي خان الذي عاش طويلاً في لكنو وأصبح مقرباً لبلاط ناصر الدين حيدر، وكانت (محمود آباد) وهي إحدى الأماكن الريفية الكبيرة في أود، كانت ذات حكم شيعي[٤٩]، كذلك فقد كان راجا نانبارا وهو سني، يحتفظ بكثير من علماء الشيعة وكثير منهم من كشمير في مركزه وذلك ليقرؤوا له مراثي للإمام الحسين[٥٠].

ويخبرنا الرحالة الأوربيون أن الفقراء والأغنياء كانوا على حد سواء يحتلفون بذكرى محرم، بل إن الشيعة حتى في القرى كان يضعون علامة في بيوتهم هي رمز يشير إلى اليد الممدودة[٥١].

وقد كتب روبرتس يقول:

لقد كان كل شخص لديه مبلغاً صغيراً من المال يوفره لشراء الأدوات اللازمة لهذه المناسبة[٥٢]، وكانت تختلف الاحتفالات بين المظاهر البسيطة والمظاهر ذات الفخامة والأبهة[٥٣]، وكان الأشخاص الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة والفقيرة لا يستطيعون بناء إمام بارة مستقلة، فكانوا يزخرفون أفضل غرفة لديهم في مسكنهم لهذه الغاية ويستخدمون مواد رخيصة الثمن للتزيين[٥٤]. وكان الناس يوفرون زيت المصابيح لهذه الغاية[٥٥].

مجلس الحداد

كان هناك من المراسيم الدينية الشيعية شيئين بالنسبة لشهر محرم: ١ ـ مجلس الحداد (مجلس) الذي يعقد في إمام بارة أو في مسكن خاص، و ٢ ـ الموكب. أما المركب وهو أقدم الطقوس فقد كان أصلاً في زمن الشيعة البويهيين في أوائل القرن العاشر في العراق، وقد تطور أسلوب مجلس الحداد خلال الفترة الصفوية في ايران.

وفي القديم كانت الجموع من الناس تجتمع للبكاء على الشهيد الحسين[٥٦]، وفي أود خلال أوائل القرن الثامن عشر كان الأشراف او خيرة القوم يعقدون مجالس البكاء أو الحداد في الإمام بارة الخاصة بهم مرتين في اليوم خلال العشرة أيام الأولى من شهر محرم.

أما مجالس المساء بأضوائها المتلألئة المنبعثة من قناديل لا تحصى، وثريات، فكانت

(٤٩) علي حسن: محمود آباد تاريخ، ٥ مجلدات، مخطوط بالأردية في مكتبة راجا محمود آباد، لكنو، الأول ص ٣٨ ـ ٨٢، حديث مع مهراج كومار محمود آباد، بتاريخ ١٧ حزيران، ١٩٨٢، لكنو.

(٥٠) حديث مع راجا نانبارا Nanpara بتاريخ نيسان، ١٩٨٢، لكنو.

(٥١) علي: ملاحظات، ص ٢٠، حاشية.

(٥٢) روبرتس: مشاهدات ومميزات، الثاني ص ١٨١ ـ ١٨٢.

(٥٣) نفس المرجع.

(٥٤) علي: ملاحظات، ص ٢١.

(٥٥) نفس المرجع، ص ٢٨.

(٥٦) حول مجالس الحداد انظر محمود أيوب: المعاناة في الإسلام، دراسة لعاشوراء عند الشيعة الاثنى عشرية (١٩٧٨)، ص ١٥٨ وما بعدها.

أفضل المجالس، وكان المضيف وأقربائه يجلسون على الحصير بالقرب من النصب، أما الضيوف فيزدحمون حيث يجدون مكاناً لهم، وكان المضيف يستأجر مولوي ليقوم بالقراءة في ذلك اليوم من نص فارسي يصف معاناة الإمام الحسين وأعوانه وأسرته في صراعهم ضد الأمويين، وكانت مثل هذه القراءات التي تتم بين أفراد الأشراف الذين يعرفون الفارسية في أود، ذات تأثير كبير، وخاصة إذا بكى المولوي بإخلاص وعمق من منبره الذي يقف فيه(٥٧).

ولما كان هذا يتطلب فقط إلمام بالفارسية فكان من الممكن أن يكون المولوي أحد العلماء أو أحد الأشخاص وربما كان غير متمرس بالعلوم الدينية، وكان العلماء الكبار يعقدون مجالسهم الخاصة وهذا ما كان يعرف باسم «حديث خواني».

وقد وصف أحد تلامذة السيد محمد ناصر آبادي، وهو مجتهد رئيسي في لكنو في ذلك الحين تلاوة هذه الأحاديث الشفهية عن الأئمة مع الترجمة: «وجدته في العاشر من محرم يذكر المصائب التي وقعت في كربلاء، ويبكي بحرقة وكذلك أولئك الذين يستمعون إليه، ثم صعد الى المنبر حافي القدمين، عاري الرأس والدموع تنحدر من خديه، وهكذا كان في تلك الأيام وبعد ذلك كان يذهب للمنزل وهناك يجتمع مع الناس»(٥٨).

وبعد القراءة بالفارسية وتدعى (العشر مجالس) Dah Majlis، لأن النص يتألف من عشرة فصول (فصل لكل عشرة أيام أولى من محرم)، ويعقب ذلك استراحة يوزع فيها ماء الورد على الحاضرين، وكان البعض من نخبة القوم يدخنون النارجيلة خلال هذه الفترة(٥٩).

وبعد الاستراحة كان قراء الشعر يتلون المراثي الشعرية باللغة الأردية، وكان الجميع يفهمون حتى الجهلاء أو الأميين(٦٠)، وفي أوائل القرن التاسع عشر استخدم بعض رواة الشعر ما يشبه الغناء، إذ كان قراء الشعر يقرءون شعر المراثي لاستشهاد الإمام الحسين بعدة أساليب في الإلقاء والتنغيم، وكان العلماء يفضلون الأسلوب المتقيد باللغة (تحت اللفظ خواني) Taht al-lafz- Khvani، الذي يشبه إلقاء الشعر من قبل الشعراء، أما الأسلوب الآخر الذي يعود إلى بدايات النهضة الشيعية الثقافية في أود فكان يشتمل على (سوز خواني) Suz-Khvani أو ترنيم المراثي. وفي عهد آصف الدولة، برز في هذا المجال حيدر خان وهو مغني كبير، كان يعلم سيد مير علي ويسمع في بلاط سادات علي خان.

وفي مثل هذه الأدوار كان الأسلوب الموسيقي (Rajinis) تبعاً للذوق، وكان الحرفيون والعمال والنساء سواء من الشيعة أو السنة أو الهندوس يحبون أو يفضلون الأساليب التي تعتمد أكثر على الموسيقى، وفي زمن غازي الدين حيدر (١٨١٤ ـ ١٨٢٧) قدم الناس من كل أنحاء أود إلى لكنو خلال شهر محرم على أمل سماع النائحة الحسينية السيدة حيدر Lady

(٥٧) علي: ملاحظات ص ٢٢.

(٥٨) محمد مهدي لكنوي كشميري: نجوم السماء: تكملة، مجلدان (قم: مكتبة بصيرتي، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧) الاول ص ٢٤٥.

(٥٩) علي: ملاحظات ص ٢٣.

(٦٠) علي: ملاحظات ص ٢٣، وروبرتس: مشاهد الثاني ص ١٩٢.

Haydar وهي تنشد بعض المراثي الشعرية في بكاء الإمام[٦١]، وكانت النساء ينشدن المرثيات أمام الجمهور رغم أن العلماء كانوا يحرمون مثل هذه الاجتماعات المختلطة.

وكان بعض الشيعة المتشردين يتوجهون الى سيد ديلدار علي ناصر آبادي بالسؤال عن النوح بشعر المراثي، فكان يرد بأن الاستماع لمثل هذا الشعر والبكاء على الإمام والحزن عليه بكل الوسائل، كل هذا له قيمته ومكافأته.

فإذا كانت المراثي تقرأ بصوت حزين فهي لا تشكل أي مشكلة، ولكنه كان ضد الإعادة بالترنيم (وتسمى بالفارسية ترجيع Tarji، وبالأردية Kathar، لأن هذا شديد الشبه بالموسيقى، وقال إن أي شخص يتجنب الاستماع الى مثل هذا يحظى بالمكافأة الروحية [٦٢].

وبعد تلاوة أبيات الرثاء ينهض الجميع ويعددوا الخلفاء الشرعيين بعد النبي محمد وفقاً للشيعة وهم الأئمة الاثنى عشر ويدعون لهم فرداً فرداً، ثم يرددون أسماء الخلفاء الأوائل الذين تعتبرهم الشيعة من المغتصبين ويلعنونهم، وكانت هذه الطقوس تتألف من قسم الولاء للأئمة والتبرؤ من الخلفاء المغتصبين[٦٣]. وكانت مجالس الحداد تتضمن فترة تسمى (مأتم)، وقد كان نخبة القوم من الشيعة يمارسون هذه الطقوس أيضاً، وقد كتبت مسز علي عن الاحتفالات لدى الطبقة العليا فقالت:

«لقد شاهدت الدم ينزف من صدور رجال أقوياء يضربون أنفسهم وهم يهتفون يا حسن !، يا حسين !، لمدة عشرة دقائق وأحياناً لفترات أطول»[٦٤].

وكتبت أيضاً عن العلماء وعدم استحسانهم الجلد بالسوط فقالت: «إن المولوية والملا ورجال الدين لم يكونوا يشترطون في ضرب صدورهم رغم وجودهم هناك، فالعلماء كانوا من ناحية يستمرون بفترة الحداد والحزن أكثر من البقية من المؤمنين وذلك في فترة الـ ١٨٢٠ وما بعدها ٤٠ يوماً كاملة، ومع ذلك لم يكونوا يشتركون في موكب الحداد أو استعراض الحداد[٦٥].

وقد سُئل سيد محمد ناصر آبادي عن الجلد بالسياط في فترة الـ ١٨٢٠ والـ ١٨٣٠، فأجاب بأن العويل والضرب على الصدر من أجل المآسي التي تعرض لها آل البيت مباح فقط في حالة عدم قدرة المرء السيطرة على نفسه[٦٦].

أما النساء فكن يشتركن في ذكرى شهر محرم، رغم أن قليلاً من الأميرات والنساء الثريات كان لهن إمام بارة خاصة، وإنما كانت تخصص أماكن في منازلهن مؤقتاً كإمام بارة للنساء فقط، وقد رأت مسز علي أن حزن النساء كان أكثر شدة من حزن الرجال وذلك خلال

(٦١) شرار: كذشته لكنو ص ٢١١ ـ ٢١٧، مترجم، ص ١٣، ١٤٧ ـ ١٥٠ والحواشي.
(٦٢) ناصر آبادي: نجاة السائلين، الورقة 22a.
(٦٣) علي: ملاحظات ص ٢٣، شرار: كذشته لكنو ص ١٠٥، الترجمة الانكليزية ص ٨٦.
(٦٤) علي: ملاحظات، ص ٢٢ ـ ٢٣.
(٦٥) نفس المرجع ص ٣٠.
(٦٦) مشرف علي لكنوي، محرر: بياض مسائل، ٣ مجلدات (لكنو: دون ناشر، ١٥٢١/ ١٨٣٥ ـ ١٨٣٦)، الثالث ص ٣٧.

الأيام العشرة الأولى من شهر محرم، بحيث أن النساء التقيات كن ينسين أحزانهن وهمومهم الخاصة خلال تلك الفترة.

وفي حيدر آباد شُوهدت النساء من الشيعة يضربن صدورهن كالرجال تماماً[٦٧]، وفي لكنو كانت النساء تستغني عن لبس المجوهرات والثياب ذات الألوان البراقة وأطلقن شعورهن وارتدين ثياب الحداد السوداء، وبعضهم كن يلبسن باستمرار ولمدة عشرة أيام الثياب السوداء، وكانت خادمة مسز علي تصوم عن الماء طوال النهار وفي المساء تجتمع النساء حول النصب التذكاري مع الاصدقاء من النساء وتجد العبيد والخدم يحيطون بالمضيفة [٦٨].

وكما هو الحال في المجتمع الشعبي فقد كانت النساء المتعلمات يترأسن هذه المجالس النسائية[٦٩]، وفي أود كانت النساء تنحدر من عائلات شريفة من السادة الفقراء، وكن يفتقرن الى الدوطة كي يجتذبن العرسان من الطبقات الرفيعة من السادة، ولكن كن يرفضن قبول شخص دونهن وهذه كانت تتفق مع العادة المنتشرة بين الهنود المسلمين وهي عدم الزواج ممن دون المرء ولكن ممن هو أرفع شأناً.

وكانت النساء تعمل كمعلمات للقرآن الكريم لأبناء العائلات الشريفة، وكن يعلمن في منزل النساء اللواتي يستضفن الناس خلال شهر محرم ويأخذن أجرة وهدايا أيضاً، وكن يقرأن المجالس العشرة من شهر محرم بالفارسية، أما الشعر الخاص بالمراثي فكان بالأردية[٧٠].

وهكذا انتشرت شبكات المجتمع الشيعي وتطورت سواء من الذكور أو الاناث، من الخاصة أو العامة، وكان الأشخاص المشاركون في الحداد ينشرون الأخبار بين السكان في الجوار أو القرية ويشيعون جواً من الوحدة بهذه الاخوة الدينية في كل مكان، وأصبحت لكنو مكاناً يأتي إليه الشيعة من كل أنحاء أود في شهر محرم.

المواكب

كانت مجالس الحداد في المنازل أو الإمام بارة، تقدم صورة عن الصداقة والاخوة بشكل عام، فكانت الطقوس والمواكب تجلب الناس في الشوارع من كل مدينة كبيرة، بالاضافة الى الزوار من القرى المجاورة، وبتطور هذه المواكب والاحتفالات تعزز مركز الشيعية كدين أو معتقد في أود، وأصبحت الطقوس المفضلة في البلاط.

وكانت هناك نشاطات خاصة تميز كل من الأيام العشرة في محرم، ففي الأيام الأخيرة من الشهر الذي يسبقه وهو ذو الحجة، كان الرجال من الطبقة المتوسطة والطبقة العاملة وكان

(٦٧) شريف: قانون إسلام، ترجمة هركلوت، ص ١٥٩.

(٦٨) علي: ملاحظات ص ٢٣ ـ ٢٩، وانظر شرار: كذشته لكنو، ص ٢٨٩، ترجمة بالانكليزية ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٦٩) قارن اليزابث وارنوك فيرنيا Elizabeth Warnock Fernia: ضيوف الشيوخ: الانثروبولوجيا الوصفية لقرية عراقية (جاردن سيتي: نيويورك، ١٩٦٩) ص ١٠٧ ـ ١١٥ وص ١٩٦ ـ ١٩٧، وروبرتس فرنيا واليزابث وفيرنيا: الاختلاف في الشعائر بين النساء المسلمات، في كتاب: ن. ر. كيدي Keddie (محرر): العلماء، الأولياء والصوفيون (بركلي ولوس أنجلس: مط. جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٨)، ص ٣٨٥ ـ ١٠٤.

(٧٠) علي: ملاحظات ص ٢٩.

اليوم الاول من محرم يشهد سكوناً لا نشاطاً إذ أن الدكاكين تغلق وتبدأ العائلات في الحداد في منزلها.

وفي اليوم التالي كان الناس يعجبون بالإمام بارة التي أسست للأقطاب وكانوا يزورون النصب الموجودة في بيوت أصدقائهم، وكان الأتقياء يرون أن مثل هذه الزيارات كطقوس دينية تعادل الزيارة المكلفة إلى كربلاء نفسها[٧١]، وفي اليوم الثالث من محرم كانت النساء ترسل أطباق الحلوى إلى الأصدقاء والأقرباء، مثلما ترسلها إلى العائلات الفقيرة في ذكرى وفاة الإمام مثلما يتم هذا في اليوم الثالث لرحيل أحد الأطباء.

وكان يكررون هذا في اليوم السابع والرابع عشر بعد أوائل محرم[٧٢].

وفي اليوم الخامس من محرم كان المؤمنون يذهبون بمواكب من لكنو إلى رستم نكر Rustamnagar، حيث يبارك الأئمة عند مقام العباس.

وقد شاهدت مثل هذه المواكب مسز علي فقد كان على رأس المواكب حراس يسيرون حول أربعة من الأفيال التي تحمل الرجال والشعارات الفضية والذهبية، وهناك فرقة تعزف الموسيقى الهندية، ثم يأتي بعد ذلك شخص في حداد يمسك راية سوداء علق عليها سيفان، وخلفه يسير الشخص الذي يملك الشعارات مصحوباً بقراء الشعر وبعدد كبير من الاصدقاء، وكانت الأبيات الشعرية المختارة في هذا الموكب تخص معاناة «العباس».

ثم يأتي حصان يمثل حصان الحسين دُلْدُل Duldul وهو حصان أبيض عربي، وكانت ساقاه ملطخة بالدم، وتظهر الرماح وقد وخزت كل جزء من جسمه، وكان في الخلف أصدقاء الأسرة والخدم وبعض الجنود المشاة[٧٣].

وكان هناك ألوف آخرين من الأشخاص الحزانى توجهوا الى المزار بشاراتهم، وكان يدخلون بخطوات سريعة من الفناء، وكان خادم المقام يأخذ الشارة من كل شخص من المدخل الأمامي ويلمس بها الشارة الموجودة على نصب «العباس». ثم يخرج، وقد قدرت المسز علي عدد أولئك الذين يدخلون في يوم واحد بحوالي أربعين أو خمسين ألف شخص[٧٤].

وفي اليوم التالي وهو السابع من شهر محرم كان يُحتفل بذكرى[٧٥] زواج القاسم بن الإمام الحسن الى ابنة الإمام الحسين، وفي أود كان الناس يتذكرون الزواج ويمثلون المراسيم، وبعد إتمام الاحتفالات كان خيرة القوم يوزعون المال على الفقراء، مثلما يفعل في الزواج الحقيقي[٧٦]، وكان الناس في الأنحاء الأخرى من الهند يدخلون تغييرات على هذه الطقوس، ففي حيدر آباد في الجنوب كان رجل في بعض الأحيان يمثل شخصية القاسم

(٧١) See Ayoub: Redemptive suffering PP. 180- 96.
(٧٢) علي: ملاحظات ص ١٧ ـ ١٨، ٣٢، ٥٧.
(٧٣) نفس المرجع السابق ص ٣٦ ـ ٣٨.
(٧٤) نفس المرجع ص ٣٤، ٣٦.
(٧٥) انظر بايلي: الحكام، رجال المدن والأسواق، الفصل ٤.
(٧٦) علي: ملاحظات ص ٤٢ ـ ٤٦.

ويجهزون لدفنه في الإمام بارة، وفي اليوم السابع من محرم كان الناس في تلك المدنية يلونون حصاناً يمثل حصان الإمام، ويكون مصنوعاً من الخشب ومزيناً بالجواهر(٧٧). وكانت قمة فترة الحداد تأتي في اليوم العاشر وهو اليوم الذي يمثل الذكرى السنوية لاستشهاد الإمام الحسين، وكان الناس يذهبون لمكان رمزي يمثل مكان دفن الحسين في ضواحي المدينة، ويسمونه كربلاء.

وكانت الطبقات العاملة في فترة حكم الصفويين في ايران، تفضل الاشتراك في مواكب الشوارع، أما الأثرياء فكانوا يفضلون مجالس الحداد في الداخل(٧٨). ومع ذلك فقد كان كثير من الأشراف يشتركون في مواكب الشوارع، وكانت لهم مراسيم مشابهة وعروض، وكانت هناك احتياطات أمنية في حالة الخوف من وقوع صراع أو شغب بين الشيعة والسنة (٧٩).

ويتخلل هذه المراسيم توقف لإلقاء المراثي ويقوم الحزانى بجلد أنفسهم بالسياط على صوت دق الطبول، وكان الاغنياء من القوم لدى عودتهم الى البيت يوزعون المال والثياب والطعام على الفقراء، وكانوا يهبون الحصان دلدل Duldul وما يكسوه من كساء فاخر الى احدى العائلات السادة الفقراء(٨٠).

وفي عام ١٨٢٠ كانت مراسيم الحداد في العاشر من محرم وفي اليوم الثالث بعد ذلك يبدأ الرجال في حلق ذقونهم، وتترك النساء ثياب الحداد ويلبسن المجوهرات، ويبدأ عامة الناس في مضغ التامبول مرة أخرىٰ ولا يستمر في الحداد إلا بعض الأشخاص الأتقياء جداً فيستمرون في هذا الحداد لمدة أربعين يوماً(٨١). وكان علماء الشيعة يتخذون موقفاً ناقداً أو منتقداً لبعض شعائر محرم، وبهذا يعززون مراكزهم الخاصة كرجال دين طاهرين.

وفي عام ١٨٠٨ حاول الباحث المهاجر آغا أحمد بهبهاني وهو ايراني، أن يقنع الأشراف في فايز آباد بالاستغناء عن مسألة قرع الطبول التي تصاحب ضرب الصدور(٨٢)، وقد سأل أحد المؤمنين في لكنو رجل الدين الشيعي البارز سيد ديلدار ناصر آبادي (٨٣)عما إذا كان من الصحيح استخدام الطبول والجياد التي ترمز لحصان الإمام، والجمال وذلك في يوم العاشر من محرم، فأجاب إن استخدام الطبول هو بدعة ولكن استخدام الجمال لتمثيل قافلة آل الإمام وذلك من أجل استثارة العواطف الرقيقة لا يعتبر

(٧٧) شريف: قانون الإسلام، ترجمة هركلوت ص ١٦١، حول محرم في حيدر آباد انظر غلام حسين: خان الزمان، كلزار آصفية (حيدر آباد: سيد رستم علي ١٢٦٠/ ١٨٤٤، ص ٥٦٠ وما بعدها).

(٧٨) انظر صمويل بيترسون: التعزية والفنون المتصلة بها في شيلكوسكي Chelkowski (محرر): تعزية، ص ٦٧ ـ ٦٨.

(٧٩) علي: ملاحظات ص ٤٦ ـ ٤٩.

(٨٠) نفس المرجع ص ٥٠ ـ ٥٣، وكتاب روبرتس: مشاهد ومميزات، الثاني ص ١٩٤، وكتاب فاني باركس Fanny Parkes: جولات حاج بحثاً عن صور رائعة، مجلدان (لندن، ١٨٥٠)، الاول ص ٢٩٨.

(٨١) علي: ملاحظات، ص ٥٦ ـ ٥٧.

(٨٢) آغا أحمد بهبهاني: مرآة الأحوال جهان نامة بوهار كول Buhar Coll: مخطوط فارسي رقم ٩٦ الورقة 194b، المكتبة الوطنية في كالكوتا.

(٨٣) ناصر آبادي: نجاة السائلين الورقة 25a.

اشكالاً[٨٤].

على أن بعض علماء الشيعة الآخرين كانوا يتغاضون عن بعض الطقوس الفولكلورية الأخرى، بل إن المولوي أحمد أبو الحسن كشميري كتب يدافع عن استخدام الطبول في الحداد على الإمام[٨٥].

وقد بحث Ende في أن بعض العلماء العرب في الفترة الحديثة دافعوا عن الجلد بالسياط، واعترض بأن هذا يشجع على اشتراك جماعات كثيرة في طقوس محرم[٨٦]. وقد سمح سيد محمد بالجلد فقط في حالة نسيان الحزين لنفسه، وقد دخل نوع جديد من الطقوس في ايران أواخر القرن الثامن عشر، بالاضافة الى ما سبق في الحداد على الإمام، وهي (التعزية)، وذلك هو تمثيل مسرحية تتضمن فصول عن مواكب العاشر من محرم، والحزانى يمثلون الحسين وأعدائه، وهذا نوع من المسرح الفولكلوري، ولكن لم يكن هناك مثل هذه المسرحيات في أود في الفترة التي نتحدث عنها، بل كان أشراف الشيعة يرعون مسرحيات تمثل حول كريشنا Krishna، على الأسلوب الهندي، وربما ساعدت هذه العروض على نهضة المسرح التقليدي، وقد كانت الحكايات التي رواها الرحالة في البنغال وفي بيهار تظهر مستوى عال في التمثيل خلال شهر محرم، عن ذلك التمثيل في أود[٨٧]، وقد أصدر العلماء في أود أحكاماً ضد مشهد يصور لوحات دينية كستارة خلفية للمسرح خلال مجالس الحداد[٨٨].

وقد كانت مواكب محرم تملأ شوارع المدن في أود بالحزانىٰ ممن يجلدون أنفسهم.

مساهمة أشخاص من غير الشيعة في محرم

لقد كانت ثقافة أود وهو مجتمع ما قبل الصناعي، تبين ميولاً للتكريس للخدمة الدينية وقد كان بعض المتصوفين من المسلمين والهنود ينقلون رموزهم من جماعة الى اخرى، وقد بدأت طقوس محرم في أود تمثل عاملاً وسيطاً في نقل هذه الرموز والأفكار بالنسبة لبعض الجماعات، وقد وجدت حدود بين بعض المجتمعات الدينية وحدثت مشاغبات بين الهندوس والمسلمين أو بين السنة والشيعة، إلا أن أولئك الوسطاء الثقافيين ربطوا بين الجماعات من الطبقات الشعبية إلى حد كبير وذلك في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن

(٨٤) شرار: كذشته لكنو، ص ٣٥٩، ترجمة انجليزية، ص ٢١٦.

(٨٥) نوانوي Nauganavi: تذكرة ص ٥٤.

(٨٦) ڤرنر إند Werner Ende: الجلد بالسياط في محرم والعلماء الشيعة: في مجلة Der Islam ٥٥ (١٩٧٨)، ص ١٩ ـ ٣٦.

(٨٧) تينانت Tennant: التجديد، الاول ص ٢١٨ ـ ٢١٩، ١٨٤، وكتاب روبرتس: مشاهد الثاني ص ١٨٠ ـ ١٨١.

(٨٨) مشرف علي لكنوي، تحرير: بياض مسائل، الثالث ص ١٣، وكتاب شرار Sharar: كذاشته لكنو، ص ٣٦٠ ترجمة بالانكليزية ص ٢١٦ ـ ٢١٧، والحاشية رقم ٥٣٩ وتقول بأنه في أواخر القرن التاسع عشر أدخل مولوي مهدي حسين الستائر الملونة في مجالس الحداد، وكانت النساء يمثلن في المسرح كما في «التعزية» بايران، لكن هذه البدع الاخيرة لم تدم ولم يكن لها تأثير في شمال الهند.

العشرين[٨٩]، وقد كان المسلمون من السنة في أود في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يعقدون أيضاً مجالس الحداد ولكن كانوا يتجهمون عندما يشاهدون ضرب الصدور ويسمعون اللعنات من قبل الشيعة.

ورغم أن السنة قد اشتركوا أحياناً في مواكب محرم فإنهم كانوا يختلفون عن الشيعة في بعض الطقوس، فمثلاً كانوا يرمزون إلى آل البيت بثلاثة أصابع بدلاً من خمسة كما كان يفعل الشيعة، ويقصد السنة بثلاثة أصابع تمثيل الخلفاء الثلاثة الأوائل[٩٠]، وبالنسبة الى السنة في أود كان علي وبنوه هم الأحق بالخلافة لا أن يكونوا هم الضحايا، وعلى الرغم من أن الصراع الشيعي ـ السني كان يحدث في مثل هذه المناسبات فقد كان سببه هو الفهم المختلف للخلفاء، ولم يكن هناك حديثاً طيباً عن الامويين، وربما كانت ذلك كرد فعل ضد الجو الشيعي في أود، وكان كل من السنة والشيعة نافرين من بعضهما وذلك في العقد الاول من القرن العشرين حتى أن السنة الذين كانوا يحزنون على الحسين بدأوا يأخذون نصبهم التذكارية إلى أماكن اخرى غير أماكن الشيعة[٩١].

ولقد كان الاكثرية من الهندوس أيضاً يشتركون في الحداد على الامام الحسين. وكان الرحالة الايراني شوشتري قد رأى الهندوس يحتلفون بمحرم في كل انحاء شمال الهند في اواخر القرن الثامن عشر، وذكر في كتابه أن الأثرياء من الهندوس في دلهي كانوا يجدون من أجل تشييد الإمام بارة، وكانوا يصومون خلال شهر محرم، ويلقون المراثي عن الإمام باللغات الهندية، الأردية، والفارسية، وكانوا يطعمون الفقراء.

وكانوا يقيمون النصب التذكارية للإمام وينحنون أمامها، إلا أنهم بعد العاشر من محرم كانوا يلقونها في النهر أو يدفنونها.

وقد وجد «الشوشتري» أن بعض ما فعله الهندوس من صوم مثلاً وتعذيب لأنفسهم خلال محرم، شيئاً غريباً جداً[٩٢].

وقد اتبعت طائفة الكاياستا Kayastha بشكل خاص العادات الاسلامية نظراً لارتباطهم الطويل بالحكام المسلمين كمعاونين أو حُجَّاب، وكان كثيراً من أفراد هذه الطائفة يبنون لأنفسهم الإمام بارة[٩٣].

---

(٨٩) موضوع الوسيط الثقافي في الهند في المجتمع الهندي ـ الاسلامي ما قبل الصناعي في البنغال، انظر آسيم روي Asim Roy: التراث الاسلامي التوفيقي بين الأديان في البنغال (برنستون: مط. جامعة برنستون، ١٩٨٣) الفصل ٢.

(٩٠) روبرتس: مشاهد، الثاني ص ١٩٢ـ١٩٣، شريف: قانون: ترجمة هركلوتس Herklots ص ١٥٩.

(٩١) حول موضوع التطور في احتفالات محرم في لكنو في القرن العشرين انظر كتاب: سارو جيني جانجو Sarojini Gonju ص ٢٩٠، امتياز أحمد: النزاع الشيعي ـ السني في لكنو، ١٩٠٥ ـ ١٩٨٠، في م. اسرائيل ومافوهار، ١٩٨٤) ص ٣٥ ـ ٣٥٠ وكتاب كيث هيروتشوج Keith Hirotshoj: كربلاء: دراسة لمحرم في لكنو ـ الهند. رسالة دكتوراه، جامعة كورنويل، ١٩٧٧، وساندريا فرايتاج Sandria Freitag: الطقوس الدينية والشغب، الفصل (٧).

(٩٢) شوشتري: تحفة العالم، الورقة 199a-b.

(٩٣) انظر ك.ليونارد: التاريخ الاجتماعي للطائفة الهندية المسماة كياست في حيدر آباد Kaysaths (بركلي ولوس أنجلس: مط. جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٨) ص ٨١ ـ ٨٢، ١٠٣ ـ ١٠٤، من اجل هذه الطائفة في الهند انظر

وقد كتب روبرتس Roberts عن الهندوس واشتراكهم في طقوس الحداد على أبناء الحسين، «فقد كانت أعداد كبيرة جداً من الهندوس تستمر في الحداد خلال العشرة أيام من محرم ويلبسون الثياب ذات اللون الأخضر ويظهرون بمظهر الفقراء»(٩٤).

وقد أنفق الطاهي الهندي لدى «فاني باركر» Fanny Parker أربعين روبية على نصب من خشب البامبو للإمام وقام بكل الطقوس التابعة لمحرم، ثم عاد الى هندوسيته، بعد أن قدم النصب مع الأرز والقمح والزهور وأكواب الماء(٩٥)، كما أن الهندوس في المقاطعات التي كان يحكمها الهندوس في وسط وجنوب الهند كانوا يحتلفون بمحرم والمواكب الحسينية.

إلا ان البراهمة المتشددين كانوا يعارضون ذلك، ولكن بعضهم كان يحزن على الحسين، وكانت حوادث الشغب تثار بين الهندوس والمسلمين في حيدر آباد التي يحكمها المسلمون وذلك خلال شهر محرم، وكان الهندوس الذين يشتركون في طقوس الحداد يقفون الى جانب المسلمين ضد خصومهم(٩٦).

ولهذا فإن الهندوس لم يشتركوا فقط بشكل واسع في طقوس محرم، بل إنهم ساعدوا في التأثير على شكل هذه الطقوس في الهند وذلك بإضافة بعض الطقوس التي كان المسلمون حتى من الطبقات الرفيعة يتبعونها.

وقد ذكر جارسن دي تاسي Garcin De Tassy أن شهر محرم يشبه المهرجان الذي يقام يقام لآلهة الموت دورجا Durga ويستمر لمدة عشرة أيام، وفي اليوم العاشر يلقى جسم الالهة في النهر وهذا يماثل إلقاء النصب للإمام في النهر عند الشيعة(٩٧).

وقد كان كل من الهندوس والمسلمين يرون في بعضهما عدم القدسية والايمان، وذات مرة سأل أحدهم العلماء المجتهدين الكبار وذلك في اوائل عام ١٨٣٠، عما اذا كان غير المؤمن يستطيع تقديم شيء من المال أو الاغراض من اجل الأئمة وتوزيع الطعام على الفقراء المؤمنين خلال شهر محرم، فأجاب أنهم يستطيعون ذلك اذا كان المضيف في مجلس الحداد قد طلب منهم ذلك(٩٨)، على أن اشتراك كل من السنة والهندوس في طقوس محرم جعل هذه الشعائر عامة، وقد كان السنة في أود يحبون الحسين ويذرفون الدموع على أحفاده وهذا ما خفف المواقف الشيعية المتشددة تجاههم، أم الهندوس فقد كانوا يحتفلون بذكرى محرم أيضاً ويعتبرون الحسين كإله للموت وكانوا يشبهون حصانه الملطخ بالدم بسبب الأمويين،

و. كروك: القبائل والطوائف في المقاطعات الشمالية الغربية وفي أود، ٤ مجلدات (كلكته: مط. الحكومة، ١٨٩٦) ج ٣: ١٨٤ ـ ٢١٦.

(٩٤) روبرتس: مشاهد، الرابع ص ١٨٦.

(٩٥) باركس: تجولات: الاول ص ٢٩٦.

(٩٦) روبرتس: مشاهد، الثاني ص ١٨٦، و. هـ. سليمان W.H.Sleeman: رحلة في مملكة أود في ١٨٤٩ ـ ١٨٥٠، مجلدان (لندن: ريتشارد بنتلي، ١٨٥٨) الاول ص ٢٧٦، وكتاب شريف: قانون اسلام، ترجمة هركلوتس Herklots، ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٩٧) م. جارسين دي تاسي: مذكرات حول الدين الإسلامي في الهند (باريس: المط. الامبراطورية، ١٨٣١) ص ١١ ـ ١٢، ٣٠، ٣٨ ـ ٤١.

(٩٨) مشرف علي لكنوي Musharraf Ali Lacknavi، تحرير، بياض مسائل، الثالث ص ٩٧.

بكالي دروجا Kali Durga وقلادة عنقها المؤلفة من جماجم.

خاتمة

كانت الطقوس في محرم تتألف من طقوس جماعية، وقد كان يشترك في بعضها أيضاً كثير من السنة والهندوس، وساعد آخرون في نشر المُثل الشيعية بين الجماعات وتعزيز الشبكات الاجتماعية المؤلفة من المؤمنين، كذلك فقد ساعدت طقوس لعن الخلفاء في إقامة حدود بين الشيعة وغيرهم، كما أن العنف الذي أحدثته ساعد في تقوية الصلابة الداخلية للشيعة.

وقد كانت ذكرى محرم بما تتضمنه من «حج» الى النصب التذكارية للإمام تظهر بوضوح أن البناء والهدم مترافقين، فمن ناحية نجد ان الفروق الاجتماعية كانت تنحل بشكل مؤقت وهذا ما تحدث عنه المرحوم ڤيكتور تورنرVictor Turner[٩٩].

فقد كان النخبة من الشيعة سواء من الرجال او النساء يحطون من قدر أنفسهم وذلك لحرمانهم من الإمام، فكان الرجال يسيرون حفاة الأقدام عراة الرؤوس تحت شمس لكنو الشديدة، أما السيدات فكن يلبسن الثياب المتسخة لمدة عشرة أيام في الوقت الذي كان الطقس فيه يتطلب الاستحمام المتكرر.

كذلك فإن اشتراك طبقات أو طوائف متعددة ومجتمعات دينية مختلفة في هذه الطقوس حثت على الصراع والتناحر نظراً لأن بعض السنة والهندوس كانوا معترضين بشدة عليها.

ورغم ان الأشراف أو نخبة القوم من الشيعة كانوا يستبعدون الطبقات الشعبية من الإمام بارة الخاصة بهم، ويجبرونهم على السير خلف أفيالهم في الموكب، إلا أن هذه الطبقات الشعبية كانت تعبر في كل يوم عن أحزانها.

كذلك فإن طبقة الاشراف من الشيعة كانوا يوزعون المال والهدايا خلال المواكب للتأكد من مشاركة الفقراء في الحداد على الحسين، وقد كان بعض فقراء الصوفيين في بعض الأماكن ينظمون المواعظ وفي خلال هذه الاحتفالات كانوا يتسلمون الهبات[١٠٠].

وقد صور بعض النخبة من الشيعة البريطانيون المعتدين بأنهم مثل الشرير يزيد في حركة عصيان ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨، وقد كان القرويون المسلمون أيضاً وهم أقلية يحيط بها الوثنيون، وكذلك كانت الجيوش الاموية تهاجم الحسين ويمكن تشبيههم بالهندوس[١٠١].

أما العمال والحرفيون والفلاحون فقد كانوا يعتمدون على سخاء الحكام الشيعة، وهذا الاعتماد شجع هذه الطبقات على الاشتراك مع الحكام في ممارساتهم الدينية.

وهكذا نشأ مجتمع شيعي فيه شبكات اجتماعية واسعة، وفي أوائل القرن التاسع عشر

(٩٩) ڤيكتور تورنر Victor Turner: العروض والحج: دراسة في الرمزية المقارنة (نيودلهي، ١٩٧٩) الفصل ٤ الموت والموتى في الرحلة الطويلة.

(١٠٠) مارك جابوريو Marc Gaborieau: الأقلية الإسلامية بين الهنود في نيبال (نانتير: مختبرات الإثنولوجيا، ١٧٧) ص ١٢١ ـ ١٢٢، ١٨٢ ـ ١٨٣.

(١٠١) نفس المرجع، ص ١٢١.

أخذت جماعات أخرى كالسنة وبعض الهندوس تشترك في طقوس الشيعة، ومع ذلك فقد استمر نمو المجتمع الشيعي وتطور إلى سياسي وذلك في القرن العشرين[١٠٢].

المجتهد الأكبر في أود الشيعية مولانا السيد دلدار علي ناصر آبادي.

(١٠٢) انظر خاصة، فرايتاج Freitag «الطقوس الدينية والشغب».